سلسلة القصص الهادف للأطفال (١)

عمار فوق السحاب

تأليف

عبد الحميد ضحا

عبد الحميد ضحا

للنشر والتوزيع
نحو أدب راق

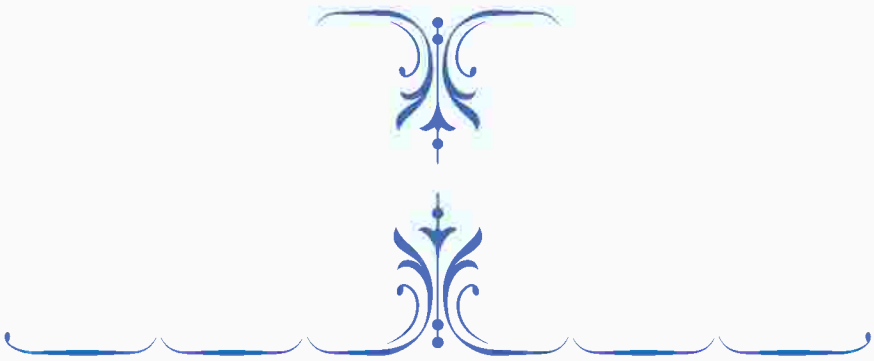

الإهداء

إلى

المستقبل الواعد لهذه الأمَّة

أطفالِنا

الإخراج الفني: محمود عبد الفتاح

الغلاف والرسوم: مصطفى الشريف

المقدمة

نـرى جميعًـا الحرب المسـتعرة على مسـتقبل هـذه الأمة – ناهيك عن ماضيها وحاضرها - بإغراق أطفالنا في لُجج عميقة من الضيـاع، بكافة الوسـائل المكتوبة والمسـموعة والمرئية؛ لتضييـع الهُوِيَّة والعقيدة والأخلاق والقيـم في نفوس أطفالنا، فوجـب على كل صاحب قلم أو موهبـة أن يكون درعًا أمام هذه الهجمة الشرسـة، ويبثَّ قيم الخير والأخلاق في نفوس النشء، الذين بقدر تنشئتهم سيكون مستقبل هذه الأمة، وها نحن أولاء سنُبحِرُ في «سلسلة القصص الهادف للأطفال» بإذن الله.

عبدالحميد ضحا

عمار فوق السحاب

عمرُ في الضاحية

الصيَّاد والأمير

عمار فوق السحاب

يصعـدُ عمَّـارٌ على حافَّـة الجبل في طريقـه إلى قِمَّتـه، توقَّف عن الصعود ليتأمَّل هذا الجبل، يُمسِـك بالحصى في يده، فيتحوَّل إلى ماء، يا له من حصى عجيب!

وما هذا الجبلُ العجيب؟! إنه ليس كالجبال المعروفة، إن لونَه أبيضُ

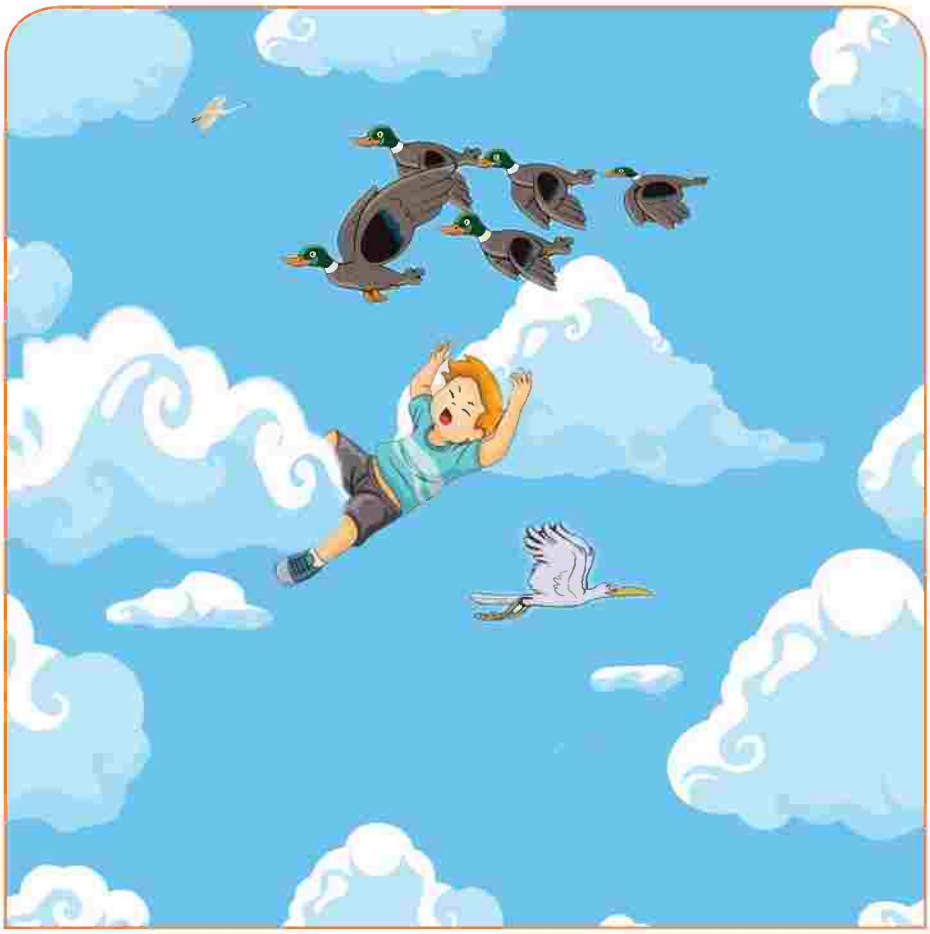

جميلٌ رائع، كأنه جبل من ثلج.. لقد رأى صورًا كثيرة لجبال تكسوها الثلوج؛ لكنه لم يسمع من قبلُ عن جبل حَصاه بِلَّوْراتٌ ثلجيَّة، سبحان الله! جبل من ماء!

تلفَّت حولَه فوجد جبالاً كثيرة ضخمة، على نفس هيئة جَبَلِه، أَحَسَّ أن الجبل يتحرَّك به.. ما هذا؟! أهناك زلزال سيحدث؟! فنظر لأسفل الجبل.

فوجئ أن الجبال كلَّها تَسبَح في الفضاء.. يا إلهي! إنه السحاب!

تُرسل الشمسُ أشعَّتَها الذهبية، فيَبْهَرُه منظرُ انعكاس الأشعَّة من بِلَّوْرات السحاب الثلجيَّة، وكأنها تدعوه للتأمُّل في عِظَمها وعِظَم الكون.

ينظر إليها ثم يتجوَّل ببصره بعيدًا في صفحات الكون، فيرى الفضاء مليئًا بالنجوم والكواكب الكثيرة جدًّا التي تفوق الشمس في عِظمها، سبحان من خلق هذا الكونَ العظيم!

يأسِر نَظَرَه منظرُ السحاب البديع، فيتابع حركته وسباحته في فضاء الكون، فيراه كثيرًا جدًّا وضخمًا، ما أروعَ الجبالَ الثلجية سابحةً

في الفضاء!

ثم بدأت زخَّات شـديدة من المطر والثلج تنزل من بعض السـحاب، فقـال: سـبحان الله! هـذه الأمطار سـتملأ الأنهـار والآبـار والعيون، وستروي الإنسان والحيوان والزرع، يرزق الله بها خَلْقَه! ما أَرْوَعَها!

وفجأةً! يسـمع صوت الرعد الرهيب يُزَلزِلُه، فيكاد يسـقطُ من فوق الجبل البِلَّوْريِّ؛ ولكنه يَسُـدُّ أُذُنَيْهِ بإصبعَيْهِ سـريعًا، فإذا بشرارة بَرْق تخرج من سحابته تضيء الفضاء حوله، فيرى منظر السحاب المَهيب المُخيف، فلا يسـتطيع الصمود أمام هذه الشرارة الصاعقة، فيتدحرج على السـحابة حتـى يصل إلـى قاعها، فيحـاول الإمسـاك بالبِلَّوْرات الثلجية، فإذا بها كالماء، فيجد نفسـه سابحًا في الفضاء ينزل بسرعة شديدة، ولا سبيل للمقاومة.

فسـلَّم أمره لله، حتى اقترب من الأرض، فاصطدم بها، ففتح عينَيْهِ، فوجد نفسه ساقطًا على الأرض بجوار سريره الجميل!

عمرُ في الضاحية

اســتعدَّ عمرُ للذَّهاب إلى المدرســة، فتوضَّأ وصلَّى وارتدى ملابسه؛ ولكنه – كعادته – أتعب أمَّه حتى يُفطر ويشربَ اللبن، فتظلُّ أمُّه تتوسَّل إليه ليطيعَها، ولا يرتدي سُــتْرَةً تَقِيــهِ البردَ القارص مهما فعلتْ، حتى يتدخَّل والده، فيُرغمه على لُبسها، وهو متضجِّر، وهكذا كلَّ صباح.

ذهــب عمرُ إلى المدرســة، جلس بين صديقَيْهِ زاهر وســامي، ينظر إلى زاهرٍ نظرة شــفقة؛ فيُحزنه منظرُه بملابسه غيرِ النظيفة، وشعره الطويــل الملبَّــد، فيتذكَّر منظــره أوَّلَ العام الدراســيِّ، عندما كان كل زملائه مُعجَبين بملابســه ونظافتها وشــعره الجميــل، وكلُّهم يعرفون ســبب هذا التغيُّر الحزين؛ إذ ماتت أمُّه، وأبوه يذهب إلى عمله، ولا أحد يهتمُّ به وبإخوته!

يخاطبهما ســامي: سينتهي اليومُ الدراسيُّ اليومَ في منتصفه بسبب الحفل الذي ستُقيمه المدرسة، ما رأيُكما أن نذهب إلى الضاحية؟

زاهر بحَزْم: لا لن أذهب؛ كانت أمي رحمها الله توصيني دائمًا بتجنُّب هذه الضاحيةِ.

عمر: وأبي دائمًا يحذِّرني منها؛ ففيها لصوصٌ وأشقياءُ.

ضحك ســامي: هل تخافان إلى هذه الدرجة؟! لم تَبلُغا مبلغَ الرجال بعدُ، ما زلتما طفلَينِ صغيرين.

تأخــذ الحَمِيَّــةُ عمرَ: أنــت تعرف أني لا أخاف شــيئًا؛ ولكــنَّ والديَّ سيغضبان مني إن ذهبتُ إلى هناك دون إذنهما.

سامي: أين روح المغامرة التي تدَّعيها دائمًا؟!

عمر: لكن.....

سامي: لكن ماذا؟ لن نتأخَّر هناك، لقد حكى لي بعض من ذهب إلى هناك أنها رائعة، وأن ما يُحكى عنها إشــاعات، ولن نتأخَّر، سنعود في وقت انتهاء اليوم الدراسيِّ.

عمر: يبدو أنك ستجعلني أنال غضب أبي وأمي اليوم.

سامي: هيَّا أيها المغامرُ.

زاهر: لن أذهب معكما؛ فلن أخالف ما أمرتني به أمي رحمها الله.

يذهب عمر وسامي إلى الضاحية على أطراف البلدة، عبارة عن زراعات وأشجار، تنتشر عنها إشاعات أنها مأوى المخدِّرات واللصوص، الذين حوَّلوا جمالها الرائع إلى مكان سيِّئ.

يتجوَّلان ولا يَلفِت نظرَهما شيءٌ غريب.

سـامي: انظر يا عمرُ إلى جمالها الرائـع، لماذا يَحرِمُنا أهلُنا من هذا الجمال؟!

عمـر: صدقتَ، إن أبي وأمـي لهما تحكُّمات تُصيبُنـي بالضَّجر، ولا يَترُكانِني أفعل ما أحبُّ، يريدانِني أن أفعل ما يحبَّانِ هما، وكأني صورة منهما.

فجأةً يخـرج عليهما ثلاثة فتيان أشـكالُهم مريبـة، يحيطون بهما، وينظرون إليهما باستهزاء، ثم يُشهرون السكاكين في وجهَيْهما.

يَصِيح أحدهم: أَخرِجوا كلَّ ما معكم.

يَـدِبُّ الرعـبُ في قلبَيْهِمـا.. يُخرِجان من جيوبهما ما فيها بسـرعة، وجسـماهما الصغيران ينتفضان من الفزع: تفضَّلـوا.. هذا كلُّ ما في جيوبنا.

أحدهم لعمر: اخلع هذه السُّترة الجميلة.

يَخلَعها بسرعة ويعطيها له، ثم يُمسكون بهما ويدفعونهما إلى الأمام بقسوة مع السباب والضرب والإهانة!

يفلت منهم سامي؛ إذ كان سريعًا يسابق الريح، فلم يلحقوا به، وبَقِيَ عمر وحدَه لينال منهم نصيبَه ونصيبَ هروب سامي.

أَلْقَـوْا بعمرَ في حُجرة من الطِّين تملؤهـا القَذارة، لم يُطق رائحتَها، والبردُ القارص يَضرب جَسَدَه، ولا سُترةَ تَقِيهِ.

جلس يبكي ويفكِّر: ماذا سـيفعلون بي؟ هل يذهب سـامي إلى أبي وأمي يُبلغهما ليأتيا لإنقاذي؟

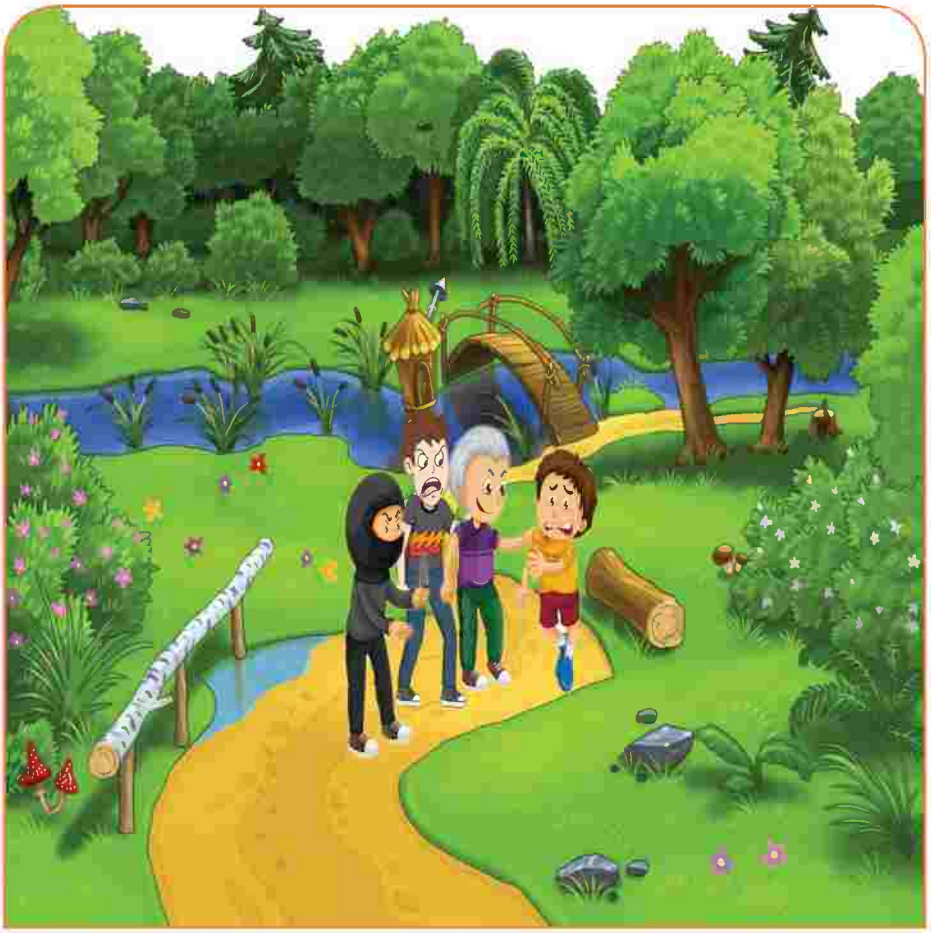

لا، لن يفعل، سيخاف من رِدَّة فِعلهما، ومن أن يعرف والداه ما حدث.

ولو ذهب وأبلغهما، سيَحزن والداي جدًّا من عصياني إيَّاهما.

إنــي جائع جــدًّا، بالتأكيد أمي الآن تضع طعام الغــداء في انتظاري لتأكل معي!

أخذ يبكي ويشــتدُّ بــكاؤه، ثم نادى عليهم ليُطلقــوه أو يأتوا له بأيِّ طعام.

ردَّ أحدهم بغِلظة واســتهزاء: أيَّ طعام تريد؟! تَحسَب أن أباك وأمَّك

هنا سيسارعان لتَلْبِيَة طلباتك.. اجلس ولا نسمع صوتك!

ازداد حزنه بمجرَّد سماع كلمة «أباك وأمك»، فأخذ قراره بفعل ما فعل سامي، وليكن ما يكون؛ ولكنه لا يعرف المكان، وهو في وسَط الضاحية لا على أطرافها، ولو أمسكوا به سيؤذونه!

انطلق كالريح يجري هائمًا على وجهه لا يدري أين يذهب، وانطلق وراءه هؤلاء الأشقياء.

أخذ يجري بين الأشجار، ويقفز، ويدور، حتى بدأ التَّعَبُ يُرهِقُه.

ازداد عددُهم، وأحاطوا به من بعيد، فلم يجد بُدًّا من الصعود على شجرة كبيرة، فوقفوا أسفلها والسكاكينُ تلمع بأيديهم، وطلبوا منه أن ينزل وإلَّا صَعِدوا وأَلقَوْه من فوقها.

وبينما هو وَسَطَ هذه الأهوال، إذ سمع صوت أمِّه من بعيد تنادي بأعلى صوتها: عمـــــــــر.

فرَدَّ: أنا هنا يا أمي.

فظهر له أبوه وسامي، ومعهم بعض الناس يُهَرْوِلون إليه في لهفة.

بمجرَّد أن رآهم الأشقياء هربوا، فنزل عمر من الشجرة، فاحتضنه أبوه وأمُّه وهم يَبْكُون.

الصيَّاد والأمير

كعادتِـه صباحَ كلِّ يـوم، يَركَبُ العمُّ محمودٌ الصيَّـادُ قاربَه الصغيرَ خائضًا في البحر، يَنصِبُ شَبَكتَه، منتظرًا ما يرزقُه اللهُ به.

وأثنـاءَ انتظاره يقضي وقتَه في قراءة وِرْدِه مـن القرآن، وذِكْرِ الله، والتأمُّلِ في عِظَم مخلوقاته.

فجأةً رأى إنســانًا من بعيدٍ يُصارع الغَرَقَ، فقَفَز في البحر، يُســابِقُ المَوْجَ، فوصل إليه وقد أوشك على الغَرَقِ، فأمسك به وجَذَبه إلى قاربِه، ثم خلع ثَوْبَه وغطَّاه به.

أخذ يعالجه حتى أفاق وعاد إليه الوَعْيُ.

ابتســم قائلاً: حمدًا لله على سلامتك أيها الفتى، ما زلتَ صغيرًا على السباحة في هذه الأماكن العميقة.

ردَّ الفتى: الحمدُ لله الذي نجَّاني على يَدَيْكَ يا عمّ...

- اسمي محمود.

- يا عمُّ محمود.

- ما اسمُك يا فتى؟

صَمَت بُرْهةً ثم قال: أمير.

جمع العمُّ محمودٌ شَـبَكتَه، وأخذ ما بها من سـمكٍ وفيرٍ، فحَمِدَ اللهَ، ثم توجَّه لأميرٍ قائلاً:

- فَأْلُكَ خيرٌ يا أميرُ، لم يؤذَّن للظُّهر بعدُ، والرزقُ وفيرٌ والحمد لله، وما أشدَّ حاجتي للرزق الوفير اليوم! أبيعُ منه وأُطعم أولادي.

هيَّا نذهب إلى البيت لأحصل لك على ثوبٍ من ابني جمال تَلبَسُه؛ إنه في عُمُرك وجِسمك، ثم أشوي لك سمكًا شَهيًّا؛ فلا بدَّ أنك جائع.

سـار أميرٌ بجـوار العمِّ محمـودٍ، متعجِّبًا من شـهامته، حتى إنه لم يسأله من يكون؟

قابلهما رجل، فقال: بكم تبيع السمك؟

نظر إليه العمُّ محمودٌ: هل الرجل غريبٌ؟ لم أَرَك قبلُ في بلدتنا.

- أنا عابرُ سبيل، وفي حاجة إلى الطعام، ومعي قليل من المال، فأحسِنْ إليَّ أحسَنَ اللهُ إليك!

ابتسـم له العمُّ محمودٌ: خذ ما تشـاء؛ فإنَّ مَن لا يَسَعُني مخالفتُه قد أوصاني بك.

الرجل: تقبَّل اللهُ منك أيها الرجل الصالح، وما الثمن؟

العمُّ محمودٌ: سيصلني ممن أوصاني بك.

وأعطاه بعض السمك، وانصرفا.

أميرٌ: يا عمُّ، من أوصاك به وأنت لا تَعرِفُه؟ وكيف سيُعطيك أجرَك؟

ابتسم العمُّ محمود: لقد أوصانا اللهُ ورسولُه بابن السبيل.

أمير: ولكنك تحتاج إلى المال!

- يا بُنيَّ، سيأتيني كأوفرِ ما يكون، في الدنيا والآخرة.

قطعتْ حديثَهما طفلةٌ صغيرة: يا عمُّ، أريد بعضَ السمك ليَطعَمَ أمِّي

وإخوتي؛ ولكن ليس معي إلا درهم واحد.

العمُّ محمود: وأين أبوكِ؟

الطفلــة: إننا أيتام، وأمــي هي التي تَعمَلُ وتُنفــقُ علينا؛ ولكنَّ الأجر قليل.

العمُّ محمود: خذي هذا السمك يا بُنَيَّتي، وأطعمي إخوتك وأمك.. أين بيتُكِ؟

- هذه العشَّة يا عمُّ.

- سأمرُّ عليكم كلَّ يومٍ وأنا عائدٌ إن شاء الله لأعطيَكم بعض ما يَرزُقني الله به.

أضاء وجهُ الطفلة بالســعادة، وكأنها قد ملكت الدنيا، فانطلقت إلى أمِّها وإخوتها بالبُشرى.

أمير: عجيب أمرُكَ يا عمُّ، وماذا ستفعل الآن؟

- سنعود إلى القارب، ونلقي الشَّبكة، وسيعوِّضُنا الله خيرًا!

يبتســم أميرٌ قائلاً: ما أكرمَك وأحســنَ خلقَك يا عم محمود! إنني في أشدِّ السعادة أن ألقى رجلاً طيِّبًا صالحًا مثلَك، هيَّا بنا نعود.

يعودان إلى القارب، ويَرزقُهما الله بالرزق الوفير، ثم يعودان فرحَينِ مستبشرينِ!

أمير: أخشــى أن يقابلنا أحدُ المحتاجيــن فتُعطيَه ما معك، وأنت في أشدِّ الحاجة إليه!

العمُّ محمود: لا تخــَش يا ولدي فعلَ الخير؛ لقد جئنا إلى هذه الدنيا

لطاعة الله وعبادتِه بفعل الخَيْرِ، كلِّ الخير، فلا تدعْ خيرًا تَقدِرُ عليه إلا فعلتَه.

أمير: نعم يا عم محمود، إنك كالشمس تنشر الضياء بين الناس، ما أروعَك!

وبينما هما يتحدَّثان، إذ بسِرْبٍ من الجنود يُمسكون بهما، ويجد العمُّ محمودٌ نفسَه محمولًا إلى السجن.

يَعجَبُ محمود ممَّا حدث ويسأل، ولا مجيبَ لسؤاله، ولم يَعِ شيئًا مما

حدث إلا سماع كلمة «أمير».

أخذ يحدِّث نفسَه: إذن؛ هذا الولدُ هو الذي فعل بي ذلك؛ ولكن لماذا؟! وما حكايتُه؟! ومن أين يأكل أولادي وهم في انتظاري ببطون خاوية؟!

أخذ يدعو: اللهمَّ إني استودعتُك أولادي فاحفظهم بحِفْظِكَ الجميل.

يُفتَحُ باب السجن، وإذا بمنادٍ ينادي: جلالةُ الملك.

فَزِعَ العمُّ محمودٌ من منظر الملك وحاشيته وجنوده، وهو لا يعي ما يحدث! فإذا بالفتى أميرٍ فـي ملابس الأمراء يَحْتَضِنُه ويعتذر إليه ممَّا حدث.

الملك: لقد حكى لي ولدي الأميرُ أسدُ الله كلَّ ما حدث، وكان يحسب أني سأغضب عليه بسبب مخالفته أمري، وسباحتِه بمفرده دون رُفَقَاءَ؛ ولكن ما حكاه لي جعلني أعفو عنه؛ إكرامًا لك.

العم محمود بدهشة: إكرامًا لي أنا!

الأمير: يا أبي، إنك إن أردتَ عِمارةَ مُلكِكَ، فعليكَ بأهل الخُلُق الحسَنِ من أمثالِ العمِّ محمود؛ فهو أهلُ نَجْدةٍ وكرمٍ، وشَفَقةٍ على الناس، وحبٍّ لهدايتهم إلى الخير.

الملـك: لقد ولَّيْناكَ يا محمودُ مسـؤولية بيت المـال، ورعاية أبنائي وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة!